

إشكالية التربية عند مالك بن نبي

The Problem of education according to Malik bin Nabi

1. مراد بوفولة*، 2. ليليا بن صويلح

1. جامعة 08 ماي 1945 قللة (الجزائر)، boufoula.mourad@univ-guelma.dz

مخبر الفلسفة والدراسات الانسانية والاجتماعية ومشكلات الاعلام والاتصال

2. جامعة 08 ماي 1945 قللة (الجزائر)، bensouilah.lilia@univ-guelma.dz

مخبر التنمية الذاتية والحكم الراشد

تاريخ النشر: 2023/07/30

تاريخ القبول: 2023/06/06

تاريخ الاستلام: 2022/05/31

ملخص:

استغلّ مالك بن نبي مدّة كفاحه الفكري في تحليل مشكلات الحضارة، محاولا إيجاد وصفة يمكن أن تعيد مجد المجتمع الإسلامي، وتحقق نهضة حضارية في جميع مجالات الحياة.

في تحليله لمشكلات الحضارة لاحظ ابن نبي أنّ الحضارة تبنى من تركيب ثلاثة عناصر هي الانسان، التراب والوقت، وباعتبار أنّ التراب والوقت معطيان أنطولوجيان وجوديان تمتلكهما الإنسانية جمعاء، فقد ركّز مالك بن نبي على مشكلة الانسان باعتباره هو المسير للوقت والمستغل للتراب في مجال نشاطه المعيشي اليومي، ولتحقيق نهضة حضارية يجب العمل على بناء الانسان الفاعل المحرك للتاريخ، تحريكا فعّالا ضمن السنن الإلهية الكونية.

إنّ بناء الانسان يكون عبر عملية التربية التي يراها مالك بن نبي رؤية فلسفية واقعية، وليست مناهج ووسائل بيداغوجية، فقد جاءت الورقة العلمية بهدف تحديد مفهوم التربية عنده، وربطها بالحقول الدلالية والمعاني الأصلية لكلمة التربية والصلة الوثيقة بين فكر مالك بن نبي وفلسفة المجتمع المسلم، كما جاءت لتوضّح رؤية مالك لدور التربية في صناعة الفرد القادر على النهوض الحضاري الفكري في إطار الاندماج الاجتماعي وشبكات العلاقات الاجتماعية.

ولقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي من أجل الوصول الى تحقيق أهداف هاته الورقة، حيث أن مالك بن نبي أصيل في فكره، بالرغم من اطلاعه على الثقافة الغربية إلا أنّها لم تؤثر في توجهه الفكري، حيث أنه استفاد منها ولكن دون أن يحمل حملتها الايديولوجية.

الكلمات المفتاحية: التربية، الثقافة، التنشئة، الحضارة، الفعالية

Abstract:

Malik bin Nabi a utilisé la période de sa lutte intellectuelle pour analyser les problèmes de civilisation, en essayant de trouver une recette qui peut restaurer la gloire de la communauté islamique et apporter une renaissance culturelle dans toutes les sphères de la vie.

Dans son analyse des problèmes de la civilisation, un fils d'un prophète a observé que la civilisation a été construite à partir de la composition de trois éléments : l'homme la saleté et le temps, et considérant que la saleté et le temps sont existentiels pour toute l'humanité. Pour parvenir à une renaissance civilisée, il faut agir pour construire l'homme qui est l'acteur moteur de l'histoire, un mouvement efficace dans la dent divine cosmique.

Construire des êtres humains par le processus d'éducation que Malik bin Nabi voit comme une vision philosophique réaliste et non des méthodes et des moyens pédagogiques, le document scientifique a été conçu pour définir le concept d'éducation. et la relier aux champs sémantiques et aux significations inhérentes du mot éducation et au lien étroit entre la pensée de Malik bin Nabi et la philosophie de la communauté musulmane, Il illustre également la vision de Malik du rôle de l'éducation dans l'industrie d'un individu capable de promouvoir intellectuellement la civilisation dans le cadre de l'intégration sociale et des réseaux de relations sociales.

L'approche analytique descriptive a été invoquée pour atteindre les objectifs de cet article, puisque le propriétaire de Ben est un prophète authentique dans sa pensée, malgré sa connaissance de la culture occidentale, il n'a pas influencé son orientation intellectuelle, comme il en a bénéficié et vous sans porter son poids idéologique.

Keywords: Education, culture, upbringing, civilization, effectiveness

مقدمة:

مالك بن نبي من المفكرين الذين تركوا تراثا فكريا لم ينل حظّه من البحث والتحليل، وأصبح هذا الفكر غريبا بين أهله، فقد قدّم تشخيصا لسبب تأخر الأمة الإسلامية ضمن العديد من المؤلفات عرفت بمشكلات الحضارة، فالمعضلة التي تعاني منها أمة القرآن حسبه هي معضلة عدم الفعالية بالرغم من أنّها تملك كلّ وسائل النهضة الحضارية.

فجوهر الحضارة عند مالك بن نبي هو الثقافة، وجوهر الثقافة هو التربية، وجوهر التربية هو عملية بناء الفرد القادر على نسج العلاقات الاجتماعية، الفرد الفعّال في وسطه الاجتماعي، ولهذا حاول أن يقدم مفهوما يمتاز بالشمولية للتربية، وبالرغم من أنّه لم يذكر لفظ التربية كثيرا إلا أنّ معظم الذين درسوا فكره ومحصوه اعتبروه فكرا تربويا خالصا.

فما هو مفهوم التربية عند مالك بن نبي؟

وهل مفهومه نابع عن أصالة مجتمعه؟ أم هو محمل بالحمولة الايديولوجية الغربية؟

1- مفهوم التربية:

1-1- التحديد اللغوي:

الهدف من التحديد اللغوي للفظ التربية هو الحفر عن الجذور اللغوية للكلمة والبحث في الحقل الدلالي لها، من خلال القرآن الكريم ثم المعاجم اللغوية، ذلك أن مفهوم التربية أصبح مثقلا بالحمولات الفكرية، و يعاني من كثرة المحاولات لإحاقه بالمفهوم الغربي للكلمة، تقليدا ومحاكاة لكل ما هو وافد من بلاد الغرب، بالرغم من وجود دلالات لغوية قوية للفظ يعبر عن أصلته، وتوسع مجال حقله الدلالي الذي يسمح للباحثين في ميدان البناء المفاهيمي في حقل لتربية من تركيب مفهوم واضح وشامل، باعتبار أن أي حقل هو عبارة عن مجموعة من العلاقات المفاهيمية المرتبطة ببعضها البعض.

إنّ اللفظ ما هو "إلا مستودع لما خبرته الأمة طويلا وتأملته بعيدا، وحصلت فيه فهما خاصا، ثم دمغت به اللغة دماغا" (طه ع.، 2005، صفحة 129)، فالمفهوم مرتبط بالتجربة الانسانية في بعدها الكلي أي أنه يتصف بالدقة والشمولية في نفس الوقت، واللغة العربية كما أشار أحمد بن فارس لغة قياس واشتقاق حيث قال: " وأنّ العرب تشتقّ بعض الكلام من بعض وأنّ اسم الجنّ مشتقّ من الاجتنان، وأنّ الجيم والنون تدلان أبدا على الستر، تقول العرب للدرع: جنة، وأجنة الليل، وهذا جنين، أي هو في بطن أمه أو مقبور. وأنّ الإنس من الظهور، يقولون أنست الشيء أبصرته، وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم وجهله من جهله" (أحمد بن فارس، 1997، صفحة 35)، ونأمل من خلال هذا الحفر على جذور اللفظ اللغوية، والدلالات التي تحتويها إلى محاولة الوصول إلى بناء مفهوم خال من الحمولات الفكرية الدخيلة وتأصيل مفهوم مبني على المعنى الأصيل للفظ، و نبحث عن أصالة فكر بن نبي، وارتباطه في تقديم مفهوم التربية بالحقل الدلالي للفظ وبالجذور اللغوية له، ويعتبر القرآن الكريم هو المرجع الأوّل للغة العربية ولهذا يبدأ البحث عن معنى أي لفظ منه، وكلمة التربية لم تذكر في القرآن إلا في موضعين، وفي كلا الموضعين جاءت لتشير الى معنى التنشئة والرعاية :

- الموضع الأوّل جاء في سورة الاسراء: "وَقُلْ رَبِّيَ اَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا".
- الموضع الثّاني جاء في سورة الشعراء في خطاب موسى لفرعون: "قَالَ اَلَمْ نُزَكِّكَ فِينَا وَلِيَدًا وَاَلْبِشْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ".

أما في المعاجم اللغوية فيعتبر مفهوم التربية من المفاهيم الشائعة والمتداولة بين الجميع منذ القدم، وهذا المعطى جعل البعض يعتقد أنّ تعريفه وتحديده في متناول الجميع، ولكن سرعان ما يتبدد هذا الاعتقاد ويدرك المرء أنّ تعريف التربية هو من قبيل السهل الممتنع، لذا نجد أدبيات التربية تزخر بتعاريف كثيرة ومختلفة، وهذا يعود الى الجذور اللغوية للفظ التربية والتي هي: «رب» "ربي" و"ربا"، وهذا ما جعل الحقل الدلالي للكلمة أكثر غنى بالكلمات التي لها نفس الدلالة.

1-1-1: الجذر اللغوي رب:

جاء في أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية، وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا (البيضاوي، د.ت، صفحة 28)

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن "رب: الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التّمام" (الراغب، 2009)، وهو ما يعني أنّ التربية تهدف للوصول بالشيء إلى التّمام، أو تقريبه منه، والمقصود هنا المرحلة في التربية لتحقيق التّمام أو الكمال لأنّ التّمام هو الكمال.

أما ابن فارس في كتابه معجم مقاييس اللغة "رب" الراء والباء يدلّ على أصول، فالأوّل اصلاح الشيء والقيام عليه، فالرب المالك والخالق والمصاحب، والرب المصلح للشيء، يقال رب فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها (احمد بن فارس، 1979، صفحة 82) وهنا معنى آخر للتربية لغويا وهو إصلاح الشيء، والإصلاح ضد الفساد .

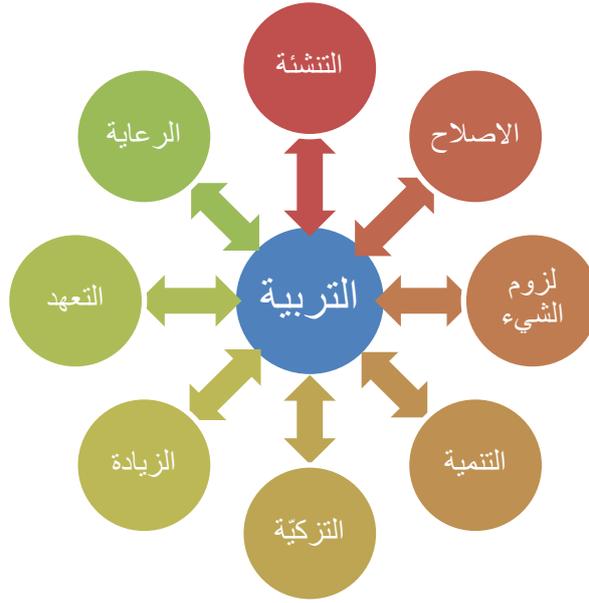
وفي لسان العرب لابن منظور مادة "رب" ورب ولده والصبي يُرَبُّه ربًّا، وربّه تربيّاً تربّه، عن اللحياني بمعنى ربّاه، وفي الحديث لك نعمة تُرَبُّها أي تحفظها وتراعيها وتربيها كما يربي الرجل ولده (ابن منظور، د.ت، صفحة 401) أي أنّ التربية جاءت بمعنى الحفظ والرعاية.

فمن خلال الجذر "رب" نستشف المعاني التالية: البلوغ بالشيء تامه، اصلاح الشيء، لزوم الشيء والقيام عليه، الحفظ والرعاية، التّعهد، التّغذية، التّسمية، الزيادة والتأديب.

1-1-2 الجذر اللغوي ربي أ:

يشير ابن فارس في معجمه أنّ المصدر "ربي أ" الراء والباء والحرف المعتل وكذلك المهموز منه يدل على أصل واحد، وهو الزيادة والنماء والعلو (احمد بن فارس، 1979، صفحة 82) والقرآن كما تم الإشارة إليه سابقا يربط التربية بالرعاية والعناية بالصّغير كقوله تعالى: {وَاحْفَظْ لَهَا مِمَّا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا} (الاسراء:24)، وفي الآية 18 من الشعراء: { قَالَ أَلَمْ نُزَكِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ }.

ومن صور المجاز في اللغة العربية نبت فلان في منبت صدق وفي أكرم المنابت، وإنه لحسن النبتة ، وأنبته الله نباتا حسنا وفي المثل السائر "من ثبت نبت" ونبت الصبي بمعنى نشأ قال تعالى عن مريم عليها السلام في الآية 37 من سورة آل عمران {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}، ونبتت فيهم نابتة أي : نشأ فيهم نشء صغار (الكندري و بدر، تعليقة أصول التربية، 2008، صفحة 30) وفي الحديث النبوي: ” إياكم وخضراء الدّمن ” قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: ” المرأة الحسنة في المنبت السوء ” رواه الطبراني، أي المنشأ السوء، وهذا ما يعني أن التربية تأتي بمعنى التنشئة.



شكل رقم 01: معاني كلمة تربية في اللغة العربية من اعداد الباحث

1-2 التحديد العلمي:

لقد تعددت تعاريف التربية، وهناك اختلاف في تعريفها، إلا أن الجميع يتفق على أنها عملية لجعل الفرد يتكيف مع ظروف الحياة. ويجد المرء الباحث عن معنى التربية نفسه أمام فيض غزير من التعاريف الضاربة بجذورها في أطنا التاريخ ، وفي اتجاهات فكرية وعلمية متعددة، كلّ يدلو بدلوه على حسب قناعاته الذاتية وأيديولوجيته الخاصة ، وكثيرا من التعاريف أضفت على معنى التربية غموضا أكثر من توضيحه " ويضاف إلى هذا البؤس المنهجي أنّ كثيرا من الباحثين ينسخون ويتناسخون التعريفات من بعضهم بعضا، فلا تكاد تعرف الناسخ من المنسوخ، ولا الأصول من الفروع، وهذه الطريقة هي التي تضفي على مفهوم التربية مزيدا من الغموض" (علي أ.، 2011، صفحة 30) فلقد عمل بعض المؤلفين الى تكرار ما هو موجود بزخرفة لفظية و صناعة كلامية تبهر من يطلع عليها، ولكن دون أن توضح له المعنى وذلك لابتعادها عن المنهج العلمي " فتعدّد الكتب وتعدّد الأعمال التي قامت بتعريف التربية يجسّد روحا واحدة ومنهجيا واحدا يتمثل في ابهار القارئ بموسوعية الكاتب وسعة اطلاعه . ومن الملاحظ أنّ تعدّد التعريفات، في غير ما سياق، وفي غير ما منهج علمي يؤدّي إلى مزيد من الغموض فتتحوّل أدوات التفكير غالبا، وهي تخدم الوعي بالإيضاح، إلى أدوات تمنع الوعي وتدفع به إلى دائرة الغموض" (علي أ.، 2011، صفحة 30).

إنّ معرفة مفهوم التربية يستلزم دراسة تطوره عبر مراحل تاريخية، وذلك باعتبار أنّ التربية لازمت الانسان منذ وجوده على سطح الأرض، فعند اليونانيين الذين امتاز عصرهم بروح الفردية والبطش عرّف سقراط التربية بأنّها "صياغة النفس الانسانية وطبعها على الحق والخير والجمال وتحقيق مجتمع أفضل" (معن و آخرون، 1986، صفحة 249)، وهي نفس النظرة عند أفلاطون الذي عرّف التربية بأنّها "معرفة الخير وتنمية هذه المعرفة وطبع

التّفس الانسانية على الحق والخير والجمال" (معن و آخرون، 1986، صفحة 249)، يلاحظ من خلال هذين التعريفين سيطرة الأفكار التجريدية ، فكلمات الحق، الخير والجمال هي ذات بعد تجريدي، و يمكن لأيّ فرد أن يعطيها معنى خاصا به، وهذا راجع لطبيعة البيئة اليونانية المبنية على الطّبقية والقوة والبطش، كما أنّها مفاهيم فلسفية تعبّر عن مثل عليا يسعى كلّ فرد للوصول اليها بذاته وحسب اعتقاده وتصوّره لها.

أما أصحاب الفكر الاسلامي فيرون أنّ التربية هي عملية تهذيب للنفس، و زرع للأخلاق الفضيلة، ولهذا شبّه أبو حامد الغزالي المعلّم بالفلاح الذي يعتني بزراعة بالسقي والرعاية ونزع ما ينبت فيه من الأشواك، فيها هو ينصح تلميذه قائلا: "فاعلم: أنّه ينبغي للسالك شيخ مرشد مربّ، ليخرج الأخلاق السّوء منه بتربيته، ويجعل مكانها خلقا حسنا.

ومعنى التّربية: يشبه الفلاح الذي يقلع الشّوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته ويكمل ربّعهُ" (أبي حامد، 2014، صفحة 60).

ولم يذهب ابن مسكويه بعيدا عن الغزالي حيث اعتبر التربية غرسا في أرض قد اجتث ما فيها من نباتات ضارة، حتّى يأتي الزرع بنتائج تعجب الزّراع "وقد رأينا من أراد الغرس في أرض يبدأ فيقتلع ما فيها من غرائب التّبت، ثمّ يأتي بكرائم الغرس فينصبه فيها، وكذلك من طلب الحكمة ورغب في اقتنائها فهو حقيق أن يبدأ بما في قلبه من أضدادها فيمحققها ويطهره منها" (عبد الله، 1984، صفحة 478)، ويقصد بالحكمة هنا التربية الضرورية لكلّ فرد " لأنّ من فقد الحكمة من أهل الخصال الحسنة ضاعت خصاله ومن فقدتها من غيرهم هلك كلّ الهلاك" (عبد الله، 1984، صفحة 478)

أما الفارابي فله رأي آخر، حيث أنّه يفرّق بين التّعليم والتّربية ، فكل ما يحصل به العلم فهو تعليم ويعتبر ما هو أخلاقي تأديب -ومن معاني التربية التّأديب-، وغير ذلك فهو رياضة حيث يقول: "وقصدنا أن نقول في التّعليم الذي يحصل عنه علم، فإنّ هذا هو أحرى أن يسمّى علما، وأما تلك الأخرى، فإنّ بعضها تسمّى الرياضة وبعضها ليس لها اسم أما الأخلاقي منها، فإنّه أحرى بأن يسمّى تأديبا من أن يسمّى تعليما" (الفارابي، 1987، صفحة 78)، و أما التّعليم فيعرّفه بأنّه: "كلّ فعل فعله الانسان قصد به أن يحصل به لآخر علم شيء ما، أو قصد به الى أن يحصل لآخر ملكة اعتيادية يصدر عنها فعل ما" (الفارابي، 1987، صفحة 77).

فلملاحظ من هذين الرأيين أنّ التربية عند أصحاب الفكر الاسلامي الأوائل كانت عملية واقعية يقوم بها شخص تجاه أفراد آخرين، الهدف من ورائها إمّا نقل علوم أو مثل عليا، أو عملية لتنقية الفكر والأخلاق من الشّوائب التي تلتصق بهما، وما يحتاجه المجتمع، ولهذا يقول العامري: " فإنّ العلم مبدأ للعمل، والعمل تمام العلم ولا يرغب في العلوم الفاضلة إلّا لأجل الأعمال الصالحة، ولو جعل الله الجبلة البشرية مقصورة على تقديم العلم دون تقديم العمل، لكانت القوة العملية إمّا فضلا زائدا، وإمّا تبعا عارضا، ولو أنّها كانت كذلك، لما كان عدمها ليخلل في عمارة البلاد و سياسة العباد" (سعيد، 1987، صفحة 14)

أما في العصر الحديث فإن أصحاب الفكر الغربي قد كانت لهم عدة اتجاهات في تحديد مفهوم التربية وذلك راجع لحركية المجتمع، و تعدد الاتجاهات الفلسفية والفكرية، فقد تأثرت التربية بما يجري في المجتمع من تغييرات اجتماعية و علمية، وبدأ الفكر الغربي يرفض النظر الى التربية بأنها مجرد تأملات فلسفية، ومجموعة من الأوامر والمثل وهذا ما جعل كاتباً مثل ريشتر يقول: "إن تربية اليوم تشبه ذلك الممثل في إحدى الهزليات الإيطالية، الذي خرج إلى المسرح متأبطاً طائفة من الأوراق تحت كل إبطيه، ولما سئل ماذا تحمل تحت إبطك الأيمن؟ أجاب: أوامر، ثم سئل: ماذا تحمل تحت إبطك الأيسر؟ فأجاب: أوامر معاكسة لها" (عبد الله، 1984، صفحة 478).

ولهذا حاول مجموعة من العلماء اخراج التربية من اعتبارها لغطا فلسفيا ، أو حتى مجموعة من الأوامر فكانت يعتبر التربية هي معيار الانسانية وبدونها لا يكون البشري انسانا، هذا البشري الذي يمتلك داخله بذورا يجب أن تراعى وتنمى، من طرف آخرين "هنالك الكثير من البذور لدى الانسانية، وإنها لمنوطة بعهدتنا أن ننمى الاستعدادات الطبيعية تنمية متوازنة، ونطوّر الانسانية ابتداء من نموها ونعمل على أن يدرك الانسان غايته" (إيمانويل، 2005، صفحة 16) ويعتبر كانط التربية فناً يتشكل و ينمو في وسط اجتماعي "إن التربية فنّ يجب أن تُستكمل ممارسته من قبل الكثير من الأجيال، فكلّ جيل، يستفيد من معرفة الأجيال السابقة، هو دائما أكثر قدرة على إرساء تربية تنمى كلّ الاستعدادات الطبيعيّة لدى الانسان تنمية هادفة ومتوازنة، و بالتالي تقود النوع البشري بأكمله إلى غايته" (إيمانويل، 2005، صفحة 17).

أما هربرت سبنسر الذي قدّم كتابا بعنوان "التربية"، حاول فيه شرح العملية التربوية التي تستوجب اعداد الطفل للحياة الاجتماعية من خلال التربية المعدة لصيانة النفس مباشرة وصيانة النفس من أجل احراز المعاش والمعدّة لتربية النسل، المعدّة لحفظ العلاقات الاجتماعية و السياسية ، والمعدّة لفنون الملاهي، (هربرت سبنسر، 2014،، صفحة 14) فقد عرّف التربية بأنها " اعداد أنفسنا للعيشة الكاملة فإذا شرعنا في تربية الطّفل جعلنا نصب أعيننا العيشة الكاملة وترقّعنا عن اتّباع العادة ومجاراتة أهواء الناس " (هربرت سبنسر، 2014،، صفحة 16)

أما جون ديوي الذي يعتبر من أكبر التربويين الغربيين في العصر الحديث فيذهب الى اعتبار أنّ التربية هي الخبرة المكتسبة من الحياة، هاته الخبرة هي التي تساعد الفرد على الاستمرار في العيش، و التكيف مع الواقع "فإنّ الأطفال يولدون وهم لا يحيطون خبرا بأهداف الجماعة وعاداتها، بل هم لا يعبؤون بها أبدا، وما على الجماعة إلا أن تبصّرهم وتثير اهتمامهم الحي بها، وما من طريق إلى ذلك، أي تقريب الشقّة بين الطفل والجماعة إلاّ بالتربية" (جون، 1954، صفحة 03)، ولهذا فإنّ عملية نقل الخبرات إليهم هي من تساعد على وجود المجتمع: " فوجود المجتمع متوقّف كما هو الحال في الحياة البيولوجية على عملية النّقل، وهذا النّقل يتمّ بانتقال عادات العمل والتفكير و الشّعور من الكبار إلى الناشئين، فبغير انتقال المثل العليا والآمال والمطامح والمعايير والآراء من الأفراد الذّاهبين عن حياة الجماعة إلى أولئك الوافدين عليها لا يمكن لحياة الجماعة أن تدوم" (جون، 1954، صفحة 03) ومن هذا أصبحت التربية ضرورة اجتماعية و ليس رغبة شخصية " ولو كان

الأفراد الذين يؤلفون الجماعة يعيشون أبد الدهر، لعملوا إن شاءوا على تربية الناشئين، إلا أن الدافع لهم في هذه الحالة يكون الرغبة الشخصية لا الضرورة الاجتماعية، أما الآن فالتربية عمل تحتمه الضرورة" (جون، 1954، صفحة 03).

كما ينظر السوسولوجي الفرنسي دوركايم إلى التربية بأنها عملية تمارسها الأجيال الراشدة على الأجيال الناشئة " هي الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم ترشد بعد من أجل الحياة الاجتماعية وهي تعمل على خلق مجموعة من الحالات الجسدية والعقلية والأخلاقية عند الطفل وتنميتها، وهي التي يطلبها المجتمع بوصفه كلا متكاملًا، والتي يقتضيها الوسط الاجتماعي الخاص الذي يعيش فيه الطفل" (إميل، 1996، صفحة 67).

من خلال هاته التعريفات للفظ التربية نلاحظ تطورًا في الفكر التربوي الغربي، فبعدما كانت عبارة عن أفكار أو تأملات فلسفية، يعبر عنها بكلمات مجردة يتم تأويلها إلى عدّة معان، ومجموعة من المثل العليا يسعى الفرد للوصول إليها، صارت أكثر واقعية تعبر عن مجموعة من تجارب وخبرات الحياة يتم نقلها بين الأجيال للحفاظ على ديمومة المجتمعات.

أما الفكر العربي الحديث فقد عرف هو أيضا اتجاهات فكرية في تعريف التربية، اتجه علماني متأثر بالحضارة الغربية، واتجاه آخر يمثل الفكر الإسلامي، ومن بين الذين يمثلون التيار القومي العلماني نجد ساطع الحصري الذي عرف التربية بأنها: "تأثير الراشدين في الناشئين، أي نقل مكتسبات الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة، مع تنشئة الأجيال اللاحقة لما هو أصلح وأرقى من سابقاتها" (ماهر، 2010، صفحة 134) ويلاحظ على هذا التعريف أنه يلتقي مع تعريف دوركايم من جهة أنه تأثير الراشدين في الناشئين، مع التركيز على أن تربية الناشئين يجب أن تكون أرقى من تربية الأجيال السابقة، وذلك لكون أن الحياة تتغير وتتطور نتيجة التنمية الاقتصادية والتقدم العلمي الذي يميّز العصر الحديث.

أما رفاة الطهطاوي الذي حاول أن يجمع بين الحداثة والأصالة، رغم تأثره بالفكر الغربي الفرنسي فقد عرف التربية بأنها: " فنّ تنمية الأعضاء الحسيّة والعقلية، وطريقة تهذيب النوع البشري ذكرا أو أنثى على طبق أصول معلومة، يستفيد منها الصبي هيئة ثابتة يتبعها، ويتخذها عادة، وتصير دأبا وشأنا وملكة، فالتربية المعنوية حينئذ هي فنّ تشكيل العقول البشرية، وتكييفها بكيفية حسنة مألوفة" (رفاعة، 2011، صفحة 12)، فالتربية عنده هي فنّ هذا الفنّ يهدف إلى تنمية الأعضاء الحسية والعقلية، والتي يقصد بها الاهتمام بالتغذية الجسدية التي تعطي الصبي قوة، و التغذية العقلية التي تمنح الفرد عقلا يساعده على التكيف مع المجتمع الذي يحيا فيه، وذلك بتهذيب أخلاقه لعله يمتلك أخلاقا تسمح له بالعيش حياة اجتماعية حسنة .

أما أصحاب الفكر الإسلامي فإنّ نظرهم للتربية منبثقة من القرآن و السنة، ولهذا جاءت ذات بعد روعي دون أن تغفل الأبعاد النفسية و العقلية، فمحمد قطب يعرف التربية على أنّها: " العملية التي تسعى إلى تحقيق الانسان الصالح، من خلال تحقيق توازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح، توازن بين ماديات الانسان ومعنوياته، توازن بين ضروراته و أشواقه، توازن بين الحياة في الواقع والحياة في الخيال، توازن بين النزعة

الفردية والجماعية، توازن بين النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، توازن بين كل شيء في الحياة" (محمد ق.، 1993، صفحة 28)، الملاحظ على تعريف محمد قطب للتربية تركيزه على الغاية منها، والتي هي تحقيق التوازن لدى الانسان في جميع جوانب حياته.

أما المعاجم المتخصصة فقد عرّفت التربية كلّ حسب تخصصه، فمعجم المصطلحات للعلوم الاجتماعية عرّفها بأنّها: "نظام اجتماعي يحدّد الأثر الفعّال للأسرة والمدرسة في تنمية النشء من النواحي الجسمية والأخلاقية حتّى يمكنه أن يحيا حياة سوية في البيئة التي يعيش فيها، وهي أوسع من التعليم الذي يمثل المراحل المختلفة التي يقوم بها المتعلّم ليرقى بمستواه في المعرفة في دّور العلم ، فالتربية اذن هي عملية عامّة لتكليف الفرد ليتماشى و يتلاءم مع تيار الحضارة الذي يعيش فيه، و بهذا تصبح التربية عملية خارجية يقوم بها المجتمع لتنشئة الأفراد ليسيروا المستوى الحضاري العام" (أحمد ز.، 1982، صفحة 127) كما عرفها معجم مصطلحات التربية بأنّها:

" تشير الى أنواع النشاط التي تهدف إلى تنمية قدرات الفرد واتجاهاته وغيرها من أشكال السلوك ذات القيمة الايجابية في المجتمع الذي يعيش فيه حتى يمكنه أن يحيا حياة سوية في هذا المجتمع ، و التربية أوسع مدى من التعليم الذي يمثل المراحل المختلفة التي يمر بها المتعلم ليرقى بمستواه في المعرفة في دور العلم، والتربية أيضا هي مجموعة من الطرق والوسائل و السبل التي ينتهجها الفرد من أجل تنمية المقدرات و المواقف والمسالك التي يقبلها مجتمعه أو إيجاد خبرات تعليمية مضبوطة في بيئة معينة، وهي أيضا جميع الوسائل المدروسة و الموجهة التي يستخدمها الناس في عملهم من أجل تحصيل الثقافة الخاصة بهم و الاسهام الفعلي فيها" (فاروق و أحمد ، 2004، صفحة 87).

أما المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة فقد عرّفها بأنّها:

" هي تدريب مختلف الوظائف النفسية ، وتقوية القدرات وتنمية الملكات ، حتّى تبلغ كماها شيئا فشيئا، والمرّي هو المؤدّب الذي يروّض على محاسن الأخلاق و العادات، وتربية النشء و توجيههم اجتماعيا لما فيه مصلحتهم ومصلحة البيئة، وتتمّ هذه التربية وفق فلسفة معيّنة، والتربية الذاتية عملية فردية يتولّى الشخص فيها نفسه بالتدريب و الصّقل، ينشد الكمال في مجال معيّن، وقد يُترك فيها الطفل على سجيته ليتعلّم من نشاطه القصدى ، و يقوم المذهب التربوي على فكرة أنّ الانسان كائن حي تتغيّر طبيعته بتأثير غيره، و بمؤالفة ظروف بيئته، وأنّه بالتربية يمكن تطويع هذه الطبيعة اما خيره و خير بيئته، وأن الوراثة عنصر فعّال في تكوين الشخصية ، لكنّ التربية هي المعوّل عليه في توجيه الصفات الوراثية و توظيفها اجتماعيا" (عبد المنعم، 2000، صفحة 127)

2- التربية عند مالك بن نبي:

2-1 التعريف بمالك بن نبي:

مالك بن نبي مفكر جزائري ولد سنة 1905 بمدينة قسنطينة، أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، وهو ابن الحاج عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي، درس مرحلته الإعدادية والثانوية بمدينة قسنطينة وتلمذ على عدّة

شيوخ: التحو والصرف على يد الشيخ عبد المجيد المعروف بمناهضته للبدع والطرقية وظلم الإدارة الفرنسية، وتعلم من عند المعلم حب المطالعة، وتلقى دروسا في السيرة وفي العقيدة عند الشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة ودروس الفقه على يد الشيخ الجيلالي بن العابد، وبعد تخرجه لم يجد عملا فسافر الى فرنسا وعمل هناك في أحد مصانع الاسمنت، ثم ما لبث أن رجع الى الجزائر، و في مارس 1927 عينَ ترجمانا في محكمة آفلو، وهناك بدأ نشاطه الإصلاحية بتوزيع أعداد من مجلة الشهاب الباديسية، ولكن روحه الثورية لم تقبل الفساد الإداري والظلم والعنصرية من الأعداء الأوربيين في المحاكم، مما جعله يقدم استقالته من محكمة شاطودان (شلغوم العيد حاليا) التي كان عين بها عدلا، وفي سنة 1930 سافر الى باريس لإتمام دراسته الجامعية التي أتمها في سنة 1936 بشهادة مهندس في الكهرباء (عبد اللطيف، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي، 2014، صفحة 23/22)

اشتهر مالك بن نبي بلقب مفكر الحضارة، نظرا لكون أغلب كتاباته هي تحليلات عن مشكلات الحضارة، حيث كان كفاحه بالفكر والقلم وتميز منهجه التحليلي بالعقلانية الديكارتية والغزارة الخلدونية، فبالرغم أنه عاش بسيطا الا أنه كان مدرسة فكرية عملاقة نشأت على مناهجها أجيالا في الجزائر، وفي شتى أنحاء العالم الإسلامي والعربي وما سواهما، لقد حلل ابن نبي مشكلات الحضارة على غرار التحليل العلمي في الكيمياء والفيزياء (محمد ا.، 2018، صفحة 35)، وترك تراثا فكريا ثريا نذكر منه على سبيل التمثيل لا الحصر ما يلي:

- الظاهرة القرآنية.
- مذكرات مالك بن نبي (العفن).
- شروط النهضة.
- من أجل التغيير.
- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة.
- فكرة كومونولث إسلامي.
- في مهب المعركة.
- مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي.
- مشكلة الثقافة.
- شاهد قرن.
- ميلاد مجتمع.

لقد حاول مالك بن نبي من خلال كتاباته أن يمزج بين الأصالة والمعاصرة، بين التشبث بالهوية والحفاظ عليها، والاستفادة من التراث الفكري الإنساني العالمي، ولهذا لم يكن مثاليا حتى ولو تكلم على المثالية في منطقته حول الجمال والفن، ولم يكن ماركسيا حتى ولو تكلم عن الثورة والوعي، ولم يكن عقلانيا حتى ولو تحدت بالمنطق الديكارتي في حديثه عن الحضارة، ولم يكن فرويديا حتى ولو تكلم واستعمل التحليل النفسي، بل كان

يملك عقلا تركيبيا جمع بين هاته المرجعيات الفكرية وأراد أن يثبت أن العقل المسلم هو عقل حدائني بمعنى أنه عقل يواكب الحضارة من باب فكرها الإنساني لا فكرها الأيديولوجي.

2-2 ماهية التربية عند مالك بن نبي:

يجمع كلّ الدارسين لفكر مالك بن نبي على أنه لم يذكر لفظ التربية كثيرا بالرغم أنها كمضمون لم تغب عن جميع كتاباته، ذلك أن نظره للتربية تختلف عن باقي المهتمين بالحقل التربوي، و لأنه كان كثيرا ما يستخدم كلمتي التربية والثقافة بمعنى متطابق، وكان يميل الى توظيف كلمة ثقافة أكثر من كلمة تربية حتى حينما يكون المساق مناسباً للثانية أكثر من الأولى (الفكر التربوي عند مالك بن نبي، 2017، صفحة 35)، كما أن مالك بن نبي ينظر للثقافة على أنها نظام تربوي مستمرّ في الزمن "إنّ من أولويات واجبنا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي، ولذلك يجب أن نحددها عاملا تاريخيا لكي نفهمها، ثم نظاما تربويًا تطبيقياً لنشرها بين طبقات المجتمع" (بن نبي، مشكلة الثقافة، 2013، صفحة 76).

2-1-2 التربية عملية تثقيف:

يعرّف مالك بن نبي الثقافة بأهمّ: "علاقة متبادلة، هي العلاقة التي تحدّد السلوك الاجتماعي لدى الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع، كما تحدّد أسلوب الحياة بسلوك الفرد" (بن نبي، مشكلة الثقافة، 2013، صفحة 43)، وهاته العلاقة التبادلية بين الفرد أو بالأحرى سلوك الفرد وأسلوب الحياة هي عملية التثقيف التي يتعرّض لها الفرد في المجتمع أي أنها عملية صناعة متواصلة لسلوك الفرد، والفرد في نفس الوقت بان لثقافة المجتمع، وبالتالي يلتقي مالك مع أحد أهمّ رواد علم الاجتماع التربوي وهو بيار بورديو حين يرى بأنّ الثقافة بانية ومبنية تمارس العملية التبادلية حيث أنّ المجتمع يحدّد سلوك الفرد، ثمّ الفرد يؤثّر في عملية بناء الثقافة من جديد، وهنا تظهر العملية الديناميكية التي تساهم في عملية النهوض الحضاري، فالفرد الخام كما عبّر عنه مالك بن نبي يتعرّض خلال مسيرة حياته لتجارب حياتية اجتماعية تصقله وتهيئه للاندماج الاجتماعي وتسم هاته الصناعة بالمرحلية وهي تصنع الانسان المتحضّر، وفي هاته العلاقة التبادلية بين الفرد والمجتمع يظهر المنهج النبوي لمالك بن نبي في فكره، وتأثره بما يسمى بالسوسيولوجيا الانعكاسية، فالفرد هو انعكاس لقيم ومعايير مجتمعه أي هو يحمل هابيتوس مجتمعه، ومن جهة أخرى فهو يساهم في بناء تلك القيم والمعايير*، التي تنظم الحياة الاجتماعية.

عملية التثقيف عند مالك بن نبي تستهدف الانسان وهي حياته حيث يقول شايبو في هذا: "الثقافة مثل الهواء الذي نستنشقه نسلم بوجوده تسليما ولكننا لا نشعر به" (سامية، 1983، صفحة 29)، فهي مرتبطة به ارتباطا لا شعوريا تمارس سلطتها عليه وتوجهه دون أن يشعر بذلك، فهي من القوة الناعمة التي تصنع الواقع الاجتماعي وتبني حضارة الفرد والمجتمع دون ممارسة الاكراه، فهي مجموع من الأفكار والقيم والمعايير الاجتماعية وهو كذلك مجموعة من الاستجابات العاطفية المشروطة، ونماذج السلوك المنفرد الذي يكتسبه الفرد في وسطه الاجتماعي بصفته أحد أعضاء المجتمع، وذلك من خلال تجاربه وممارساته نشاطاته في حياته اليومية،

* المقصود هنا القيم والمعايير المتحولة وليس الثابتة التي نص الوحي عليها.

فالثقافة ناتج عمليات التفاعل الاجتماعي لهذا "الفرد المنعزل - إذا ما أعطينا هذه الكلمة معناها النسبي - لا يمكن أن يستقبل الثقافة، ولا أن يرسل إشعاعاً" (بن نبي، مشكلة الثقافة، 2013، صفحة 47).

والحضارة عند مالك هي عبارة عن عملية تركيبية تجمع بين الانسان، التراب والوقت، ويعتبر الانسان هو العنصر الأساسي في هاته التركيبة، وذلك باعتباره المحرك الجوهرى والمؤثر في حركة التاريخ وتغيير اتجاهه، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن وتوقف عن الحركة توقف نمو المجتمع وفقد ديناميكيته، وتربية الانسان كما قال الرئيس البوسني علي عزت بيغوفيتش هي جوهر كل شيء " أدركت أن جميع المشكلات التي سيطرت على تفكيرى في الشباب وجعلت مؤيدا محتملا لكل ثورة في العالم، يمكن حلها بتربية الإنسان فقط، هي جوهر كل شيء" (علي ع.، 1979، صفحة 53) كما أن عملية النهوض الحضاري لا تتم إلا عن طريق الثقافة، ولهذا يرى مالك بن نبي بأن: "تشديد مدرسة بهم نشر (الثقافة) كما بهم رفع (اللا ثقافة) ... فحتى لو كانت المدرسة هي الوسيلة الرئيسية - والقضية فيها نظر- لصنع الثقافة، ومن ثم لإعطاء السياسة بعدها الوطني والعالمي، فهذه الوسيلة تبدو غير كافية" (بن نبي، بين الرشاد والنتية، 2016، صفحة 90)، فالملاحظة أن ابن نبي يرى أن الوسيلة الرئيسية لصناعة الثقافة هي المدرسة ولكن هاته وحدها لا تكفي لأن الثقافة نظرية في السلوك وليس نظرية في المعرفة، فلا تقاس الثقافة بالكم المعرفي بقدر ما تقاس بسلوك الأفراد، فالكم المعرفي الحاصل على العملية التعليمية داخل المدرسة لا يتحكم في سلوك الأفراد، بقدر ما يزودهم بكم معرفي ومجموعة من المعلومات العلمية، ولكن التعامل مع هذه المكتسبات المعرفية يختلف من مجتمع الى آخر نتيجة ثقافة كل مجتمع، فالمدرسة تعلمهم وتكسبهم المهارات الحياتية المعرفية، وظاهرة اللا فعالية الواضحة في المجتمعات الاسلامية هي في أصلها ناتجة عن مشكلة ثقافية وهي عملية توجيه الأفكار والأخلاق " والتوجيه هو تجنّب الاسراف في الجهد والوقت، فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الاسلامية، صالحة لأن تستخدم في كل وقت، والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل المكوّن من ملايين السواعد والعقول، في أحسن ظروفه الزمنية والانتاجية (بن نبي، مشكلة الثقافة، 2013، صفحة 67)، فالتوجيه هو قوة الانسان في السير نحو الهدف، ولتحقيقه يجب الاقتصاد في الجهد والوقت وعدم الاسراف فيهم.

كما أن الثقافة باعتبارها نظرية في السلوك فهي تعمل على تعديل سلوك الأفراد، من خلال جعلهم يقلعون عن قناعات وسلوكيات أثبت الواقع عدم صلاحيتها للمجتمع، وتكسبهم مهارات وقناعات جديدة تساعد على الاندماج الاجتماعي في الوسط المعيشي، فالفرد يمرّ عبر مراحل متتالية من حياته على عدة عمليات من التنشئة الاجتماعية وكل عملية تعمل على تغيير بعض القناعات التي اكتسبها في مرحلة سابقة من طور حياته، وتكسبه قناعات جديدة تتماشى مع الواقع المعاش ولا تتعارض مع قيم المجتمع، فهي بالتالي ترسخ معنى من معاني التربية الأصيلة وهي عملية الإصلاح التي تعمل على تشكيل الانسان الصالح القادر على الاندماج الاجتماعي، وهاته العملية الاصلاحية التي تعمل على تجديد شخصية الفرد ومحاوله الوصول به الى درجة الكمال الإنساني وجعله أكثر فعالية في المجتمع من خلال عمليات التوجيه النفسي لعملية التثقيف:

➤ **التوجيه الأخلاقي:** ويشير مالك بن نبي هنا الى الأخلاق الاجتماعية لا الأخلاق

من الزاوية الفلسفية، أي الأخلاق التطبيقية التي تساهم في تماسك المجتمع "لسنا نهتم هنا

بالأخلاق من الزاوية الفلسفية بل من الناحية الاجتماعية، وليس الأمر هنا أن نشرح مبادئ خلقية، بل أن نحدد قوة التماسك الضرورية للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة الحياة في جماعة عند الفرد" (بن نبي، مشكلة الثقافة، 2013، صفحة 79)، فالفرد يملك غريزة الحياة في الجماعة، والحياة الجماعية تحتاج الى قيم ومعايير أخلاقية تنظم العلاقات بين أعضائها، هاته القيم والمعايير يترتب عليها الفرد داخل الجماعة، وتحتاج الى عمليات توجيه وتعديل نظرا لما يطرأ عليها من فساد .

➤ **التوجيه الجمالي:** الجمال عند مالك بن نبي يعطي الدافعية لإنتاج الأفكار الكبيرة لأنّ الانسان لا يستطيع تقديم أفكار ابتكارية في محيط قبيح، ولهذا فالتوجيه الجمالي هو تربية الفرد على تقدير الجمال، لأنّه أساس عملية التحضر" وعليه فإنّ فكرة المحيط تدخل في كلّ عمل فردي أو إداري في وسط متحضّر.... والإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال، بل إنّ الجمال هو الإطار الذي تتكوّن فيه أيّ حضارة، فينبغي أن نلاحظه في أنفسنا كما ينبغي أن تتمثّل في شوارعنا وبيوتنا ومقاهينا، مسحة الجمال التي يرسمها مخرج رواية في منظر سينمائي أو مسرحي" (بن نبي، مشكلة الثقافة، 2013، صفحة 75).

➤ **المنطق العملي:** الثقافة عند مالك بن نبي لا يمكنها أن تمارس دورها البنائي الحضاري دون أن تغرس في نفوس الفرد والمجتمع الفعالية العملية، وهذا يجب أن يكون على مستوى ممارستهم وسلوكهم اليومي، " الفعالية أو التوتّر حالة نفسية اجتماعية دلّ التاريخ على أنّها تنشأ في ظروف معينة وتزول في ظروف أخرى، وأنّ المبررات هي التي تكوّن الدوافع الانسانية التي تدفع النشاط إلى أعلى قيمته، وأنّ الفعالية تدخل في بناء الشخصية عن طريق التمثّل النفساني لعناصر الثقافة التي يمتصّها الفرد في الجو الاجتماعي الذي يعيش فيه" (بن نبي، شروط النهضة، 1987، صفحة 84)، ويضرب مالك بن نبي مثلا بالمجتمع الألماني الذي خرج من الحرب العالمية الثانية مدمّرا واستطاع أن يعيد بناء البلاد في ظرف عشر سنوات، وكان الدكتور شاخت هو مهندس هذا البناء، واستنجدت إندونيسيا به لبناء اقتصادها ولكنّه فشل، بجدته عن المنطق العملي مالك بن نبي يدعو الى تعلم المهارات الأدائية ذات البعد العملي، وهو ما جاء في توصيات اليونسكو فيما يخص تعلم مهارات الحياة .

➤ **التوجيه الفني أو الصناعي:** لا بدّ أن يكون اهتمام الفرد بإتقان العمل ثقافة، "إنّ بناء اقتصاد متطور، يجب أن يسبقه بناء إنسان متطور، وهذا لا يكون إلاّ بالتربية ذات التواصل التي تلاحق الانسان من المهد إلى اللحد" (أسعد ، 1986 ، صفحة 239)، يركّز مالك بن نبي هنا على عملية التكوين المستمرّ للإنسان، ويستعمل كلمة "بناء" ومفهوم البناء يصاحبه التخطيط والتصميم والتنظيم، فالبناء يحتاج الى مهندس بارع في وضع التصميمات الهندسية، والى مخطّط ذكي يضع لنا المخطّطات العمرانية والى بناء ماهر ينظّم مواد البناء ويركبها تركيبا

منظماً منسقاً لتعطينا بناية جميلة، فهنا احتجنا الى العقل المفكر والى المهارات اليدوية، وبناء الفكر أو صناعته كما من قبل ليس عملية تكديس أفكار وجمع معلومات وتخزينها بل عملية منظمة ومخططة لها وفق تصميم مدروس وهادف.

2-2-2 التربية هي عملية تنشئة ورعاية:

يتحدث مالك بن نبي على ضرورة تربية الفرد وتنشئته على بناء العلاقات الاجتماعية، حتى يتحوّل من فرد إلى شخص، أو من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، ويطلق عليها اسم التربية الاجتماعية ويعرفها بأنها: "وسيلة فعالة لتغيير الانسان، وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائماً، وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ" (بن نبي، ميلاد مجتمع، 2015، صفحة 100)، ومعنى هذا أنّ التربية الاجتماعية أو عملية التنشئة هي :

- ❖ وسيلة ذات فعالية في عملية تغيير الانسان، والتغيير المقصود به هنا هو تغيير سلوكي يهدف الى تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي.
- ❖ تعليم الفرد عملية الاندماج الاجتماعي، وكيف يمكنه العيش والاندماج في وسط اجتماعي يقاسمه الحياة الاجتماعية اليومية.
- ❖ تعليم الفرد نسج شبكة من العلاقات الاجتماعية، التي تساعد على النشاط والحركة في اتجاه حركة صناعة التاريخ.

يعتبر مالك بن نبي أنّ القيام بالواجبات يجب أن يتقدّم على المطالبة بالحقوق في كلّ نھوض حضاري حتى يتكوّن ذلك الفائض من العمل الإيجابي الذي يُمكنُ الحضارة من الإقلاع، وكان منهج الأنبياء والمصلحين عبر التاريخ شحذ الهمم إلى القيام بالواجبات لأجل الحصول على الحقوق.

ولتحقيق ذلك لابد أن يُربّى الإنسان منذ صغره على هذا الجانب، ويضرب لنا في هذا السياق مثالا تربويا تطبيقيا عن كيفية تنشئة الطفل على المطالبة بالحقوق، فالرضيع عندما يبكي للمطالبة بشيء ما ثمّ نعطيه إياه يربّي على البكاء للحصول على ذلك الشيء، وهو ما سيترجم عندما يكبر بالاكْتفاء برفع الشعارات للحصول على الحقوق والتبّاكي ورمي المسؤولية دائماً على الغير، فتنشئة الفرد على إعطاء الأولوية لأداء الواجب على المطالبة بالحق، يعتبره فلاسفة مثل كانط وإتهيد أهمّ ما يميّز الانسان المتحضّر، فغرس قيمة الواجب لدى الفرد ينشئه على قيمة العمل إذا اعتبرنا أهمّ واجبات الفرد للوصول الى الكمال الإنساني هو العمل الصالح الذي يكون على ثلاثة أشكال :

- العمل الديني الصّالح.
- العمل الاجتماعي الصّالح.
- العمل الكوني الصّالح.

فالتنشئة الدينية أو الروحية هي التي تربي الفرد على الالتزام الديني، والايان بالفكرة الدينية التي هي أساس بناء أي حضارة، ومنطق تقدم الواجب على الحق هو مبدأ ديني جاء به الإسلام وأكدته ابن نبي من خلال الدعوة إلى:

- الواجب فوق الحق في المجال الأخلاقي والاجتماعي.
- الإنتاج فوق الاستهلاك في المجال الصناعي.
- السياسة النظيفة (التي تربي وتنشئ الفرد الذي يؤمن بالصالح فوق البوليستيك، المطالبة بالحق في المجال السياسي).
- الخضوع للمثل العليا والحوافز التحضيرية فوق صوت الغريزة في المجال الحضاري.
- الفعالية والبناء واقتحام العقبة والتضحية والابداع (عبد اللطيف، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي، 2014، صفحة 207)

2-3- التربية عملية تعهد ولزوم:

إنّ عيش الأفراد ضمن جماعات هو ضرورة وجود، وتحدّ لمطالب الحياة، والنفس ترغب دائما في البحث والاستكشاف عما هو جديد لتكسير الروتين والملل، هذا ما يجعل للتربية دور اللزوم والتعهد والرعاية المستمرة وهذا ما تقتضيه عملية التطبيع الاجتماعية والتي يقصد بها عملية التفاعل بين الفرد والجماعة من خلال المشاركة الإيجابية للفرد داخل المجتمع وجعل سيرورة الحياة طبيعية باستمرار من خلال الحفاظ على الأمن النفسي للفرد والجماعة والمجتمع.

يرى مالك بن نبي أنّ التربية عملية مستمرة ولهذا تقتضي التعهد واللزوم للوصول بالفرد الى درجة الدمج والضبط الاجتماعي، فالاستعدادات الفطرية وحدها لا تكفي، ولهذا لا بدّ من عمليات تربوية متواصلة من أجل اعداد الفرد للاندماج في الوسط الاجتماعي المعاش، وباعتبار أنّ الانسان غير قارّ من حيث الوسط المعيش حيث ينتقل من وسط ضيق وهو الأسرة، الى الحيّ، الى المدرسة، وصولا الى الوسط العملي الواسع، فكلّ هاته الأوساط تحتاج الى عمليات تربوية مستمرة، وتلازم الفرد منذ ولادته من أجل تعلّم الأدوار الاجتماعية الخاصة بها ولهذا يقول مالك بن نبي: "إنّ إدماج الفرد في شبكة اجتماعية عملية تنحية، وفي الوقت ذاته عملية انتقاء وتتمّ هذه العملية المزدوجة في الظروف العادية، أي في حالة المجتمع المنظم، بواسطة المدرسة، وذلك ما يسمّى تربية" (بن نبي، ميلاد مجتمع، 2015، صفحة 67)، هنا مالك بن نبي يعطي أهمية لمهارات أخرى تستلزمها الحياة وهي المهارات العملية وهي ذات بعد أداتي جماعي تقتضيه حركة التاريخ وبناء المجتمع، وبعد فردي يحتاجها الفرد من أجل تحقيق ذاته وكسب احترام الآخرين، فالفرد لكي يثبت وجوده في مجتمعه والمجتمع أيضا لتحقيق حضوره الحضاري وسط المجتمعات البشرية يجب أن يتعهد عملية التربية بإصلاح ما يراه من عيوب في منظومته من جهة، وتعهدا بمتابعة عملية التحديث مع التطورات والمستجدات الحضارية مع الاحتفاظ على منظومة قيمه.

كما أنّ هاته العملية ليست مقتصرة على سنّ معيّنة بل هي تلازم الفرد طوال مراحل عمره، وترعاه بالتّعهد وبالتّحديد المبني على استراتيجية مدروسة وفق منطق العصر والأصالة، بعيدا عن التّعصّب الأعمى والانفتاح الذي يؤدّي الى تبعية عمياء وتقليد بدون علم، واللّزوم يقتضي الحماية الفكرية من التّيارات الوافدة. وبما أنّ التّربية هي أوسع من التّعليم وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بشبكة العلاقات الاجتماعية للفرد، وهاته الشبكات تمتاز بالتّحدّد، والزيادة كلّما ازداد عمر الانسان، حيث أنّ هاته الشبكات هي مجموعة من الروابط العلائقية بين الفرد وباقي أفراد المجتمع وبينه وبين أفراد من مجتمعات أخرى، يحتاج الفرد إلى مهارات تواصلية ليحقق التعايش مع الآخر، والآخر هذا قد يكون فردا أو جماعة، قد تكون مؤسسة وقد تكون ثقافة، فمن المعروف أنّ التباين والتنوع هو سنة كونية كباقي السنن الكونية التي أودعها الله في الكون، فكما يوجد تنوع في البيئة يوجد تنوع في الأعراق والشعوب وتنوع في اللغات والثقافات وكذلك تنوع في الأمزجة، وجب على التربية أن تلازم الفرد وتعهده بالرّعاية من أجل بناء مجموعة من المهارات التي تمكنه من التواصل والتعايش وسط هذا التنوع والتباين وهو ما أطلق عليه مالك بتعايش الثقافات، هذا التعايش يفرض على الفرد العيش على حدود الثقافات " فالضمير الإنساني الذي لم يألّف العمل على حدود الثقافات، مازال تسيطر عليه جذبيّة مزمنة تحمله على أن يرى الأشياء من زاوية ضيقة" (بن نبي، مشكلة الثقافة، 2013، صفحة 99)، كما أنّ التعايش يفرض على المجتمعات تحضير أفرادها وتربيتهم لمجابهة التحديات الناتجة عن التواصل مع الآخر، خاصة في مجال القيم، باعتبار أنّ القيم تحفظ المجتمع من الانحراف فهي عبارة عن مجموعة من المعايير الأخلاقية التي تمارس عملية الضبط الاجتماعي، ويمكن أن نعطي مثلا على ضرورة اللّزوم والتّعهد، بما أنتجته وسائل التّواصل الاجتماعي من قيم جديدة في أوساط المجتمع، استوجب على مؤسسات التنشئة والتربية الاجتماعية أن تواكب هذا وترسخ قواعد وقيم أخلاقية جديدة تتماشى مع روح العصر وتحافظ على أصالة الفرد والمجتمع.

الخاتمة:

من خلال ما سبق نستنتج أنّ مفهوم التربية عند مالك بن نبي مستوحى من الدلالات اللّفظية للكلمة وبالتّالي فهو يعبرّ بذلك عن أصالته، كما أنّ المفهوم لم يتجاوز المعنى العام عند باقي مفكري العالم وبالتّالي فهو من جهة يعبرّ عن أصالة مفهومه وفكره، ومن جهة أخرى يعبرّ عن عالمية فكره. لقد بيّن مالك بن نبي أهمية التربية للفرد البشري، وللمجتمع وهي عملية انعكاسية بين الفرد ومجتمعه حيث تساعد الفرد على الاندماج الاجتماعي، وتساعد المجتمع على بناء حضارته من خلال فعالية الفرد. لقد بيّن ابن نبي من خلال مجموعة من الشروحات عالمية وانسانية الفكر الإسلامي الأصيل، والتربية باعتبارها العملية الأساسية التي ركّز عليها بإعطائها معانيها الحقيقية بعيدا عن الحمولات الأيديولوجية، كانت الوعاء الذي أعطى البعد العالمي والإنساني لفكر مالك بن نبي الأصيل. كما أنّ مالك بن نبي في خطابه التربوي الناتج عن واقعه الاجتماعي المحلي (الجزائري) والإقليمي (الإسلامي/العربي)، كان يدعو لصناعة الانسان القادر على إعادة بناء حضارة تحرك عجلة التاريخ،

إنسان يمتلك مهارات حياتية ذات أبعاد مختلفة معرفية أداتيه (أي معرفة عملية وليس معرفة من أجل المعرفة) وفردية اجتماعية تواصلية، فالتربية عنده وسيلة للتغيير الاجتماعي لا بد أن تراعى الظروف والواقع الاجتماعي الذي تصنعه.

قائمة المراجع:

- أحمد بن فارس بن زكريا الرازي. (1997). *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها*. تحقيق أحمد حسن بسج، بيروت: دار الكتب للملايين.
- أحمد بن فارس بن زكريا الرازي. (1979). *معجم مقاييس اللغة ج2*. تحقيق عبد السلام هارون، دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- آبادي الفيروز. (2014). *القاموس المحيط*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن منظور. (د.ت). *لسان العرب ج2*. بيروت: دار صادر.
- أسعد وطفة علي. (2011). *أصول التربية إضاءات نقدية معاصرة*. الكويت: الكويت.
- اسماعيل الجعفري ماهر. (2010). *المناهج الدراسية - فلسفتها - بناؤها - تقويمها*. عمان: دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع.
- اسماعيل علي سعيد. (1987). *الفكر التربوي العربي الحديث*. الكويت: عالم المعرفة.
- الأصفهاني الراغب. (2009). *مفردات ألفاظ القرآن*. بيروت: الدار الشامية.
- البيضاوي. (د.ت). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج1*. بيروت: دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- الحنفي عبد المنعم. (2000). *المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة (الإصدار 03)*. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- السحمراني أسعد. (1986). *مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا (الإصدار 02)*. بيروت: دار النفائس.
- السعيد مولاي محمد. (2018). *شاهد القرن مسار حياة، ومعلم فكر*. الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع.
- الطهطاوي رفاة. (2011). *المرشد الأمين للبنات والبنين*. الاسكندرية: مكتبة الاسكندرية.
- الغزالي أبي حامد. (2014). *أيها الولد (الإصدار 02)*. جدة: مركز دار المنهاج للدراسات.
- الفارابي. (1987). *البرهان*. بيروت: دارالمشرق.
- أيت عيسى حسين. (2017). *الفكر التربوي عند مالك بن نبي*. الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.
- حسن الساعاتي سامية. (1983). *الثقافة والشخصية - بحث في علم الاجتماع الثقافي - (الإصدار 02)*. بيروت: دار النهضة.
- حسين طه. (2014). *مستقبل الثقافة في مصر*. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- دوركاهم إميل. (1996). *التربية والمجتمع (الإصدار 05)*. (أسعد وطفة علي، المترجمون) دمشق: دار معد للطباعة والنشر و التوزيع.

- ديوي جون. (1954). الديمقراطية والتربية. (عفرأوي منى ، و ميخائيل زكريا ، المترجمون) القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- زكي بدوي أحمد. (1982). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. بيروت: مكتبة لبنان.
- زياد معن، و آخرون. (1986). الموسوعة الفلسفية العربية ج01. بيروت: معهد الانماء.
- عبادة عبد اللطيف. (2014). فقه التغيير في فكر مالك بن نبي. الجزائر: مطبعة بن مرابط.
- عبد الدائم عبد الله. (1984). التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين (الإصدار 05). بيروت: دار العلم الملايين.
- عبد الرحمان طه. (2005). فقه الفلسفة: القول الفلسفي - كتاب المفهوم والتأثيل -. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبده فلية فاروق، و عبد الفتاح الزكي أحمد . (2004). معجم المصطلحات التربوية لفظا واصطلاحا. الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- عزت بيغوفيتش علي. (1979). عوائق النهضة الاسلامية. الدوحة: جمعية قطر الخيرية.
- عمر المختار أحمد. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة ج01. القاهرة: عالم الكتب.
- قطب محمد. (1993). منهاج التربية الاسلامية ج14 (الإصدار 14). القاهرة: دار الشروق.
- كانط إيمانويل. (2005). تأملات في التربية، ماهي الأنوار؟ ما التوجه في الفكر؟ (بن جماعة محمود، المترجمون) صفاقس: دار محمد علي للنشر.
- لطيفة الكندري، و محمد بدر. (2008). تعليقة أصول التربية (الإصدار 04). الكويت: مكتبة الفلاح.
- مالك بن نبي. (1987). شروط النهضة (الإصدار 4). (المسقاوي عمر، المترجمون) الجزائر: دار الفكر.
- مالك بن نبي. (2013). مشكلة الثقافة. (شاهين عبد الصبور، المترجمون) الروبية: دار الوعي للنشر والتوزيع.
- مالك بن نبي. (2015). ميلاد مجتمع. (شاهين عبد الصبور، المترجمون) دمشق: دار الفكر.
- مالك بن نبي. (2016). بين الرشاد والتيه (الإصدار 12). دمشق: دار الفكر.
- هربرت سبنسر. (2014). التربية. (السباعي محمد ، المترجمون) القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.